



اتجاهات البلاغة الجديدة

The trends of New rhetoric

بوخشة خديجة*، جامعة أحمد زبانة، غليزان، الجزائر. khedidja.boukhecha@univ-relizane.dz

تاريخ المقال

الإرسال: 2021-05-20 القبول: 2021-06-25 النشر: 2021-10-28

الكلمات المفتاحية

البلاغة
الاتجاهات
أسلوبية
حجاجية
تداولية

ملخص البحث

اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد مفهوم البلاغة الجديدة؛ فمنهم من ربطها بالأسلوبية، ومنهم من قصرها على نظرية الحجاج، وهناك رأي آخر يقول بوجود بلاغات عديدة حسب اختلاف أنواع النصوص الأدبية... فأصبحت البلاغة علما واسعا للمجتمع حيث صار لها اتجاهات عديدة (أسلوبية، حجاجية، تداولية...).

سنحاول البحث في مفاهيم البلاغة الجديدة في المنجز العربي الحديث عند كل من عبد الله صولة وعبد السلام المسدي ومحمد العمري وغيرهم، كما سنتطرق إلى أهم اتجاهات هذه البلاغة.

Abstract

Researchers had different views in defining the concept of new rhetoric; some of them linked it to stylistic, others; however, limited it to the theory of argumentation; and there is another view arguing that there are as many rgétoric as different kinds of literary texts ... Rhetoric has become a vast science of society, with many trends (stylistic, argumentative, pragmatic ...). We will try to explore new concepts of rhetoric in the recent Arab work of both Abdullah Saoula, Abdeslam Al-Masdi, Mohamed Al-Omari and others. We will also look at the main trends in this rhetoric

Keywords

rhetoric
trends
Stylistic
argumentative, pragmatic

1. مقدمة

حاول هنريش بليث إعادة البعد التداولي الحجاجي للبلاغة القديمة في كتابه البلاغة والأسلوبية. (بليث 1991)

أما عبد الله صولة فقد اعتبر نظرية الحجاج بلاغةً جديدةً وقصرها عليها؛ حيث يقول: «البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبول، لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان وتيتيكا هي هذه البلاغة الجديدة». (صولة 2011، ص71)

أما محمد مشبال فيرى أنّ البلاغة الجديدة ماثلةً في كل النصوص وفي كل أشكال التواصل ذات ثلاثة أبعاد: (مشبال 2007، ص7-8)

- البعد الحجاجي الإقناعي (البلاغة الحجاجية)؛

- البعد الأسلوبي (بلاغة المحسنات)؛

- البعد الأدبي (مختلف أشكال النصوص الأدبية) مثل: بلاغة الرواية، بلاغة المسرح، بلاغة النادرة... الخ

فمصطلح البلاغة يجمع عديد البلاغات: بلاغة الحجاج، بلاغة الصور، بلاغة الشعر، بلاغة التلقي.

يعرف محمد العمري فيقول «البلاغة هي الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال: وهي نوعان بلاغة كفاءة تعبيرية وبلاغة باعتبارها علما واصفا لهذه الكفاءة» (العمري 2013، ص18)، وهناك نوعان من الخطاب: خطاب تداولي حجاجي وخطاب تخيلي شعري.

يرى محمد العمري أنّ للبلاغة الجديدة ثلاثة مفاهيم كبرى في الثقافة الغربية (العمري 2012، ص12):

المفهوم الأرسطي: تختص بمجال الإقناع وآلياته، وتشتغل على النص الخطابي في المقامات

اكتست البلاغة في منتصف القرن العشرين حُلةً جديدةً ؛ فبينما كانت تهتم بوصف الخطابات الأدبية، وتكتفي بتصنيف صور البيان والبديع، أصبحت تهتم بتبيان دورها الإقناعي والجمالي والإمتاع في ضوء مناهج معاصرة لسانية وأسلوبية وسيميائية ... ولم تقتصر البلاغة الجديدة على تحليل الخطابات الأدبية؛ بل اتسعت وصارت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية والقانونية والسياسية مع بلاغة بيرلمان وتيتيكا، كما ظهرت بلاغة سيميائية مع رولان بارت تهتم بالصور الإشهارية... وغيرها، وبلاغة تداولية مع أوستين وسيرل وديكرو تركز على البعد الإقناعي والتأثيري .

وقبل الحديث عن هذه الاتجاهات الجديدة للبلاغة لابد من ضبط مفهومها:

2. مفهوم البلاغة الجديدة

اتسعت الدراسات الأسلوبية للنصوص نظرا لاتجاهاتها المتنوعة ، وهذا ما جعل بعض الباحثين يرون أنها تقوم مقام البلاغة القديمة، فقد اعتبر عبد السلام المسدي الأسلوبية Stylistique وريثةً للبلاغة؛ حيث يقول «وإذا تبينّا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أنّ الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثتها المباشرة، معنى ذلك أنّ الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة» (المسدي 1977، ص48) ؛ حيث يلمح إلى أنّ الأسلوبية هي بلاغة جديدة باعتبارها بديلا عنها.

ويقول محمد عبد المطلب «البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا، والتي يجب على الباحث في الأسلوبية وضعها في اعتباره». (المطلب، 1994، ص354)

إن ربط البلاغة بالأسلوبية وحصرها عليها يعتبر تحديدا ضيقا للبلاغة الجديدة، لأن الأسلوبية لا تركز على البعد التداولي الإقناعي؛ بل تركز على البعد التخيلي فقط.

من اللغة أساسا لها في البروز على الساحة النقدية. وتتصف البنية حسب جون بياجيه بالشمولية (اتساق وتناسق البنية داخليا) والتحول (تؤثر وتتأثر) وذاتية الانضباط (لا تعتمد على مرجع خارجي) (الرويلي والبارغي 2007، ص71)

يفرق جاكوبسون بين الشعر والشعرية فالأول فن مثل فنون النثر أما الشعرية فتعني الأدبية وموضوعها الأدب. والشعرية متصلة بجذورها اللساني، فهي بنية نصية بإمكانها تحقيق المعاني والانزياحات. اكتسبت الشعرية قيمتها من الدراسات اللسانية خاصة التحليل البنيوي والتحليل الأسلوبي فالشعرية هي الأدبية موضوعها علم الأدب الذي يُعنى باليات الصياغة والتركيب بكل ما يجعل من كلام ما عملا أدبيا. يقول جاكوبسون أن اللسانيات هي «العلم الذي يشمل كل الأنساق والبنىات اللفظية، ولكي تستوعب مختلف البنىات كان لزاما عليها ألا تختزل في الجملة أو ان تكون مرادفة للنحو فهي لسانیات الخطاب أو لسانیات فعل القول» (جاكوبسون 1988، ص78)

الشعرية هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق رسالة لسانية وتحكمه دون أن تثير انتباهنا. يرى جاكوبسون أن طغيان وظيفة على الوظائف الأخرى من شأنه أن يجعلنا نحكم على رسالة ما بأنها شعر أو خطاب آخر، ورأى أن عملية التخاطب لها ست عناصر أساسية هي المرسل والمرسل إليه والرسالة والسنن والسياق والقناة.

ولكل عنصر من هذا العناصر دور في توجيه الخطاب، فإذا ارتكز الخطاب على المرسل وعبر عن عواطفه تولدت الوظيفة الانفعالية، وإذا تركز الخطاب على المرسل إليه أصبحت الوظيفة

الثلاثية (المشاورة والمشاركة والمفاضلة) والتي تقابل الخطاب الشعري؛

المفهوم الأدبي : البلاغة هي بحث في صور الأسلوب (البعد التخيلي)؛

المفهوم النسقي: البلاغة تشمل التخيل والإقناع معا.

وذكر محمد العمري أن للبلاغة الجديدة في التراث الغربي بعد حجاجي إقناعي يصب في التداولية الحديثة وبعد تعبري شعري يصب في الأسلوب وهو مرتبط بعملية الاختزال التي تعرضت لها البلاغة عبر تاريخها الطويل. (العمري 2012، ص62-63)

فقد حدث خلال تاريخ البلاغة أن تقلص البعد التداولي وتوسع البعد الأسلوبي التخيلي فصار الموضوع الوحيد لها فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود البعد التداولي. صارت البلاغة علما لا ينحصر في البعد الجمالي فقط؛ بل أصبحت علما واسعا للمجتمع حيث أصبح للبلاغة اتجاهات عديدة.

3- اتجاهات البلاغة الجديدة

3-1 الاتجاه اللساني

تأسست البلاغة الجديدة ما بين سنوات الخمسين والستين من القرن العشرين، وكانت تعنى بالصور البلاغية والبحث في أدبية النصوص والخطابات في ضوء الشعرية والبنيوية؛ حيث تحتل الصور البلاغية مكانة هامة في هذه الدراسات، لأنها جوهر الأدب وبؤرته الفنية والجمالية، كما أن الأدب فن تصويري يسخر الصورة للتبليغ والتوصيل والتأثير على المتلقي. (حمداوي 2014، ص70-71)

ظهرت اللسانيات البنيوية نظرا لتظافر عدة تيارات من الشكلائية الروسية ومدرسة براغ والأنثروبولوجيا، والبنيوية نظرية نقدية اتخذت

تأثيرية، وإذا تمحور الخطاب على السياق فتصبح الوظيفة مرجعية معرفية، أما إذا كان التركيز على قناة الاتصال فتصبح الوظيفة تنبيهية، وحين يركز الخطاب على سنن اللغة فالوظيفة هنا ماوراء لغوية (ميتا لسانية) أي الوظيفة التفسيرية الشارحة. وإن تركيز الخطاب على الرسالة نفسها يعطيها وظيفة شعرية جمالية. يقول جاكوبسون: «لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية فخصوصيات الأجناس المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة وذلك في نظام هرمي متنوع» (جاكوبسون، 1988 ص72) فالوظيفة الطاغية على الخطاب لا يعني إلغاء الوظائف الأخرى ، بل نجدها متظافرة غير أن بروز الوظيفة المهيمنة على الخطاب هو الذي يحدد نوعه.

وفي دراسة جاكوبسون للصور البلاغية حاول تفسير قدرة المتكلم اللغوية في بعدها الحقيقي والمجازي؛ إذ يتصور الاستعارة منطلقاً من مبدأ (التركيب والاستبدال):

المحور التركيبي: وهو «عملية إنتاج اللغة يقوم على مجموعة من العلاقات التأليفية تعقد بين وحدات لغوية تنتهي إلى مستوى واحد تكون متقاربة ضمن ملفوظ معين محكومة بعلاقات تنظيمية ذات منحنى زمني خطي يقبله النظام التجريدي للغة المتكلم بها» (الحويديق 2004، ص226).

المحور الاستبدالي يمكن لوحدة لغوية من الوحدات أن تقوم مقام أخرى في جملة ما إذ يمكن لكلمة التين أو العنب أن تعوض كلمة البرتقال في جملة (أكل الولد البرتقال) دون أن يحدث خلافاً في المعنى لعدم وجود خرق القيد

الانتقائي (+قابلية للأكل) المنسجم مع مقتضيات الفعل (أكل) فالقول يخضع لعمليتين هما: الانتقاء: أي إمكانية قيام المتكلم باختيار الكلمة التي يراها مناسبة تبعاً لمقصدته وغايته التواصلية في ظل اشتراك كلمة مع كلمات أخرى في سمات دلالية معينة.

التنسيق: أي قيام المتكلم بعملية ترتيب الكلمات وفق قواعد اللغة التجريدية التي ينتهي إليها.

إن «الصور البلاغية عند جاكوبسون وخاصة الاستعارة والمجاز يفسران اعتماداً على هذين المبدأين اللسانيين بحيث لا يفهم المجاز إلا في إطار المحور التأليفي بينما الاستعارة لا تفهم إلا في ضوء المحور الاستبدالي». (الحويديق 2004، ص227)

يعقد جاكوبسون مقارنة بين الاستعارة والمجاز فالأولى ترتبط بالمحور الاستبدالي أما الثاني فيرتبط بالمحور التأليفي؛ حيث يرى أن الاستعارة هي: «نتاج عملية استبدال وحدة دلالية بأخرى تشترك معها في سمات دلالية وتختلف معها في سمات أخرى ترتبط بالمحور الاستبدالي، بينما المجاز ذو البعد الزمني يتأتى من مقدرة المتكلم على التأليف بين الكلمات ضمن قواعد نحو اللغة التي يستعملها». (الحويديق 2004، ص227)

2-3 الاتجاه الأسلوبي (البلاغة هي الأسلوب)

الأسلوب هو اختيار لغوي من بين بدائل متعددة إذا أن هذا الاختيار سرعان ما يحمل طابع صاحبه ويشي بشخصيته ويشير إلى خواصه.

الأسلوبية هي دراسة الأسلوب دراسة علمية في مختلف مستوياته الصوتية والدلالية والتركيبية ، وتهتم باكتشاف خصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي وتحديد مواصفاته المتفردة ومقوماته الفنية والوجدانية، ومن القضايا التي تطرحها الأسلوبية للدراسة: موضوع الكتابة والصياغة، قضية

يقول جاك سوشر: «إذا كان الشعر فضاء يفتح في اللغة، وإذا كانت الكلمات تتكلم من جديد والمعنى يتمعن من جديد بواسطتها فذلك لوجود تحويل للمعنى بين اللغة المستعملة والقول المتوصل إليه أي وجود استعارة، وفي هذا المنظور لا تبقى الاستعارة مجرد صورة من الصور؛ بل تصبح صورة الصور ومجاز المجازات» (العمرى 2012، ص 75-76) ومن هنا أعطيت للاستعارة مفهوما واسعا وعاما لتستوعب كل صور التغيير الدلالي والانزياحات.

وهذا الرأي نفسه توصل إليه ميشيل جوكي: «إذا تعلق الأمر بإفصاح نوع من الأنواع لجنس ما، فإن الاستعارة أو صورة الصور هي المؤهلة للعب دور الجنس... لا يوجد غير جنس أعلى واحد هو جنس صورة التعبير أو الاستعارة ... الاستعارة والكناية رغم اختلافهما الثانوي إلى بعد واحد هذا البعد الذي يمكن التعبير عنه عامة بعبارة استعارية.» (العمرى 2014، ص 74) ومن هنا نلاحظ أن البلاغة وقعت أسيرة الشعرية.

3-3 الاتجاه الحجاجي (البلاغة هي الحجاج)

البلاغة الجديدة عند بيرلمان : البلاغة الجديدة حسب بيرلمان حجاجية بامتياز، ذلك أن هدفها الوحيد هو الإقناع والتأثير، فنظرية الحجاج البلاغي ترى أن الحجاج هو البلاغة أما ما ليس حجاجا فهو إما سفسطة أو برهان.

حاول بيرلمان وضع منطق للقيم (مثل العادل الجميل النافع) وعرض في مقدمة كتابه امبراطورية البلاغة قصة لقائه بالبلاغة ذلك العلم الذي عالج مسألة القيم بكفاءة تثير الإعجاب. (العمرى 2014، ص 74)

ومن خلال "مصنف في الحجاج أو البلاغة الجديدة نجد أن بيرلمان Perelman وتيتكا Tyteca لا يعتبران الحجاج تلاعبا بعقل المخاطب؛ بل يؤكدان على أنّ

الانزياح، قضية المسافة الجمالية، أدبية النص الأدبي ودراسة الوظيفة الشعرية، ورصد الصور البلاغية، العناية باللفظ والمعنى... (حمداوي 2014، 78-79)

نشأت الأسلوبية باعتبارها بلاغة جديدة في أحضان الشكلائية الروسية والنقد الجديد؛ حيث بحث الشكلائيون الروس في أدبية العمل الإبداعي مركزين على العبارة الشعرية نفسها، كرد فعل على الاهتمام بمكونات خارج أدبية، حيث اختزلت البلاغة (الشعرية) في صور دلالية خاصة ثم في صورة واحدة (الاستعارة). (حمداوي 2014، ص 78) ظهرت الدراسات الثلاثة الآتية ما بين 1969 و1970

- البلاغة المعممة لمجموعة ليجج groupe de Liege.

- مقال نحو بلاغة لصورة التعبير المعممة لميشيل دوكي Michel Deguy.

- الاستعارة المعممة لجاك سوشر Jaques Sojcher.

هذه النصوص الثلاثة أدّت إلى تقليص موضوع البلاغة إلى صور التعبير ثم إلى الاستعارة.

انتقد جيرار جينيت في مقاله (البلاغة المختزلة) هذا الاختزال ورأى أن هذه البلاغة إنما هي بلاغة لصور التعبير، لا تهتم بمبثي اجتلاب الحجة وتنظيم أجزاء الخطبة. (العمرى 2014، ص 73)

وذكر جيرار جينيت الأعمال التي كرست تحويل البلاغة نحو صور التعبير عامة والمجاز، خاصة كتاب (المجازات) لديمارسي Dumarsais حيث «ساهم هذا المؤلف في تقوية الاهتمام بصور التعبير المعنية القائمة على المجاز وذلك وضع التعرض بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في مركز التفكير البلاغي...» (العمرى 2014، ص 73)

موضوع الحجاج هو «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم» (الطلبة 2008، ص 107)، وهو تعريف محاذي لتعريف أرسطو للبلاغة الذي يقول أنها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان.

ودراسة التقنيات البلاغية الحجاجية التي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تطرح عليهم هي موضوع الحجاج، ذلك أن التّخاطب إنّما يتم من أجل ربط علاقات مع الغير بهدف التأثير فيه أو الاتفاق معه، وذلك عن طريق تبرير موقف أو الدفع إلى عمل.

ركز بيرلمان على مقومات الحجاج الأرسطي (الاييتوس والباتوس واللوغوس) وفي الوقت نفسه هي مرتكزات في الخطاب البلاغة حيث جدد آراء أرسطو مع إضافة تصورات حجاجية جديدة (العمرى 2014، ص 73)

- عالج بيرلمان نظرية الحجاج من زاوية هموم عالم المنطق من خلال تقليص مباحثها من جانب وتوسيعها من جانب آخر.

- إهمال خصوصيات الخطاب الشفوي واستيعاب الخطاب المكتوب اقتصارا على الحجج المقنعة فيهما معا الموصلة إلى الإذعان.

- عدم الاهتمام بالمحافل الخطابية في المقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة مع شخص واحد أو حتى مع الذات.

- احتل الجدل الأرسطي القوائم على السؤال والجواب والنقد والدحض حيزا من النظرية الفلسفية التي تهتم دائما لإحداث التسليم الذي يقوي أو ينقص من قوته بواسطة حجج متنوعة.

تؤدي البلاغة دورا هاما في توجيه الرأي وبلورة الفكر، وقد عرفها شوبنهاور بقوله «هي ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آراءنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم، ومجمل القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا، ويجب أن نصل إلى هذه النتيجة بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات وذلك بقوة أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهها الأولي لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها» (العمرى 2002، ص 13)، فالبلاغة تتوخى استمالة المتلقي وإثارة تعاطفه، بواسطة الكلمات، وبالتالي التأثير في المتلقي وتوجيه تفكيره الوجهة التي يبتغيها المتكلم وتتوافق وآرائه. وليست البلاغة الجديدة عند بيرلمان Perelman «معنىةً بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور» (حباشة 2008 ص 16). فهي بلاغة تُعنى بالإقناع وليس بالأسلوب. والحجة عند بيرلمان هي صورة بلاغية تكون حجاجية إذا أحدث استخدامها تغييرا في رأي المتلقي، وعلى العكس إذا لم تؤد الصورة إلى موافقة المتلقي فإنها صورة أسلوبية تجميلية فقط. يرى بيرلمان أن البلاغة الجديدة تهدف إلى إقناع الآخرين بصحة أفكار المحاجج أو عدم الاقتناع بها إذا كانت لا تتلاءم مع تصوراتهم ورغباتهم وقناعاتهم الذهنية والفلسفية «أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهتئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة» (فضل 1992، ص 74) وهذا المفهوم يربط بين تقنية الحجج ووظيفته من خلال:

- الخطاب وما فيه من حجج وطريقة انتظام هذه الحجج.

بهذه الثنائيات اللسانية مقارنة ظواهر سيميولوجية كالنظمة الموضحة والأساطير والطبخ والأزياء والصور والإشهار والنصوص الأدبية والعمارة.. للبحث في الأنساق اللفظية وغير اللفظية في الأنشطة البشرية الإبداعية الأدبية والفنية. (حمداوي، 2014 ص85)

ارتأى بارت أن دراسة الصورة تستوجب التركيز على دراسة الرسالة اللغوية والصورة التقريرية، وبلاغة الصورة، وقد خصص الإشهار بدراسات قيمة مثل: (بلاغة الصورة الإشهارية) وكتابه (عناصر السيميولوجيا) وكتابه (المغامرة السيميولوجية) (حمداوي، 2014 ص85) حيث حاول رولان بارت تطبيق البلاغة على الأنظمة السيميائية، فالبلاغة حسب بارت «لم تعد علما خاصا بالخطاب ، وإنما صارت علما عاما للخطابات كافة» (بارت، 2011، ص6) تصاغ الصورة الإشهارية بطرائق أسلوبية عديدة ومتنوعة كالتشبيه والاستعارة والتشخيص والأيقونة والمجاز والكناية والأسطورة والسجع والطباق والمقابلة والتكرار... (حمداوي، 2014 ص87)

نخلص إلى أن البلاغة السيميائية استخدمت البلاغة في التعامل مع الأنظمة السيميائية والاجتماعية كالموضحة والصورة والأزياء والإشهار...

3-5 الاتجاه التداولي (البلاغة هي التداولية)

التداولية «علم يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم وهذا ما كان يسمى في البلاغة القديمة بمقتضى الحال» (فضل، 1992، ص21)، طورت التداولية اتجاهاتها خاصة اللسانية والبلاغية.

يرى ليتش أن «البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما» (فضل، 1992، ص97-98) فالبلاغة وثيقة الصلة بالتداولية كونها تشترك معها في الاهتمام بفن

- تأثير الخطاب في المتلقي الذي هو غاية هذا الخطاب وكيفية استمالته للوصول به إلى درجة الإذعان المفضي إلى العمل وفقا لتطلعات المتكلم وأهدافه.

أضفى بيرلمان Perelman -في نظرية البلاغة الجديدة- بعدا عقليا على الحجاج؛ ورأى أن «الفعل المترتب على الحجاج ليس موصلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو فعل هيا له العقل والتدبر والنظر» (صولة، 1998، ص299)، فقد أخرج الحجاج من تهمة التلاعب بالجمهور، وبذلك تخلص من أسر المنطق والاستدلال المجرد واقترب من مجالات استعمال اللغة.

3-4: الاتجاه السيميائي

يتجسد البحث عن بلاغة لكل البلاغة تجمع بين المكون الشعري الإمتاعي والتداولي الخطابي الإقناعي، وتتجاوز اللغة الطبيعية إلى علم العلامات، بلاغة تقع عند تقاطع أجناس القول وأشكال التواصل رائدها التأثير والتفعيل. (العمرى 2014 ص75)

يأخذ هنريش بليث على الاتجاه الأسلوبى (الشعرية) إهمال البعد التداولي حيث يستند في أساسه النظري إلى منزع سيميائي ينطلق من المقام التواصلية، ويراعي ثلاثة أبعاد التركيب والدلالة والتداول.

ويرى هنريش بليث أن الوظيفة الشعرية لا تلغي الوظائف الأخرى بل تكتفي بالهيمنة عليها والواقع أن النص الشعري يحتوي أيضا على عناصر إقناعية وعناصر إخبارية، كما أن النص الإقناعي (الخطابي) يحتوي عناصر شعرية وعناصر إخبارية وهذا الكلام يكاد يكون ترجمة لكلام حازم القرطاجني. (العمرى 2014، ص75)

حصر رولان بارت عناصر سيميائية الدلالة في ثنائيات بنيوية (الدال والمدلول) (التعيين والضمين) (اللسان والكلام) (الاستبدال والتركيب) وحاول بارت

الإقناع والتأثير وتدرسان كل ما له علاقة باستعمال اللغة في التواصل قصد التبليغ وتعديل رأي المتلقي. يقول هنريش بليث: «إن توجه البلاغة نحو الأثر التداولي، يظهر تميزها، منذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية واحد منها فكري، واثنان عاطفيان أحدهما معتدل والثاني عنيف (انفعالي أو تهبيجي)» (بليث 1999، ص 25) فكل من البلاغة والتداولية يهتمان بمقاصد المتخاطبين وأحوالهما أثناء العملية التواصلية، وكلاهما يركزان على المقام وأثره في التواصل، يقول بليث: «تقوم النظرية التداولية للنص على مفهوم مقام الخطاب، وقد كانت البلاغة الكلاسيكية تختار كنقطة انطلاق لها مقام الخطاب القضائي، حيث كان المحامي يقف في الموقف المخصص له ليتهم، أو ليردّ الاتهام، وهو يسعى إلى كسب رضا القاضي» (بليث 1999، ص 29)

تقوم البلاغة التداولية على دراسة مقاصد المتخاطبين هدفها دراسة الخبر والإنشاء وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية قائمة على نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحوارية، وذلك عبر تصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات صريحة المعنى مع تحديد أفعالها القضائية وتبيان قوتها الإنجازية الحرفية ثم استكشاف المعاني الضمنية (الدلالات البلاغية الضمنية) التي يستلزمها السياق، ثم الانتقال إلى الاستلزام الحوارية للكشف عن المعاني الإنجازية السياقية والمقامية مع التركيز على الدور الدلالي والدور التركيبي والدور التداولي، وتصنيف الأقوال حسب أغراضها الإنجازية البلاغية.

ظهر الحجاج أو بلاغة الإقناع باعتماد الفعل والتأثير عبر الفعل الكلامي خاصة الحجاج التداولي عند ديكرود نظريته تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية؛ حيث يرى أن الحجاج يندرج ضمن بنية اللغة، وفي مختلف الآليات التي تتيح إمكان قيام

الحجاج داخل اللغة. ويعتبر ديكرود الحجة عنصرا دلاليا يخدم عنصرا دلاليا آخر قد يكون ظاهرا أو مضمرا، فالحجة هي الدليل لدعم الإثبات.

وضع ديكرود نظرية الحجاج في اللغة سنة 1973 وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية التي يوظفها المتكلم قصد توجيه خطابه وجهة ما، إنها نظرية تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير في هذا السامع أو مواساته أو جعله يأتي عملا ما أو إزعاجه أو إحراجة أو غير ذلك. والحجاج عند ديكرود هو (أن يقدم قولاً 1 أو مجموعة من الأقوال تفضي إلى التسليم بالقول 2 أو مجموعة أقوال يكون الأول حجة والثاني نتيجة) (Ancombre et Ducrot p08) فالحجاج عنده مرتبط بإنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أي يصبح متمثلاً في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها حجج لغوية والأخرى بمثابة النتائج، وقد ترد الحجة صريحة أو مضمرة في الخطاب. دمج ديكرود بين الدلالة والتداول انطلاقاً من التصور الذي يحدد دراسة اللغة في ثلاثة مستويات:

- التركيب: يحدد معيار النحوية والقواعد المتحركة في تكوين متواليات من الرموز.
- الدلالة : تتأسس على العلاقات بين الجمل على شروط صدقها المرتبطة بقيمتها الإخبارية.
- التداول: التركيز على استعمال اللغة بكونها ظاهرة ذاتية محكومة بوضعية تواصلية.

عالجت اللسانيات التداولية الحجاج «كظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، وبالإضافة إلى ذلك هناك الوقوف على العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح سلالمة الحجاج داخل المنطوقان والأقوال، إن التحليل اللساني

للحجاج ومساراته قد اتخذ من النصوص وكيفية إنتاجها موضوعه الرئيس، ويسعى هذا التحليل إلى صوغ قواعد ومعايير قراءة النص الحجاجي لسانيا بمساعدة علوم أخرى» (أعراب 2010، ص38) وهذا التحليل الدلالي والتداولي للنص هو ما أسماه ديكرود بالتداولية المدمجة والتي تهتم أساسا بالمستويين اللساني والبلاغي من خلال دراسة العلاقة بين المنطوقات والأقوال وتوجيهها الحجاجي.

تخضع القيمة التداولية للجملة لمحتواها الإخباري الخاضع بدوره للبنية النحوية وتستقل القواعد النحوية عن المحتوى الإخباري المستقل عن النشاط الكلامي، لكن ديكرود وأنسكومبر يرفضان هذا التصور فيقولان: «إن أغلب الجمل تحمل واسمات تحدد قيمتها التداولية باستقلال عن محتواها الإخباري، وأن هذه الواسمات ليست هامشية أو استثنائية؛ بل إنها تتموقع داخل البنية التركيبية، وإذن فلا مجال لنظام خطي من الدلالة إلى التداول، يمكن أن يحدد الدلالة لأن كثير من الظواهر المرتبطة بالقيمة الإخبارية للجملة لا تفسر إلا انطلاقا من تحليل اقتضائي ولأن بعض الروابط لا تقيم علاقة بين ما تحمله جملتان من أخبار وإنما بين الفعل الذي تنجزه الأولى وبين المعلومة المقدمة في الثانية» (طروس 2005، ص97).

حيث يقول ديكرود Ducrot «إننا حين نتكلم إنما نهدف إلى التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما ، أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك» (Ancomb et Ducrot p5)، وبعبارة أخرى فإن دراسة الحجاج أخذت تهتم باستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلال الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية. (عشير 2006، ص67) فكل خطاب

حجاجي يخضع لشروط التلقي، ومكانة المتخاطبين والسياق المشترك بينهما ، ويبرز فيه دور القصدية والتأثير والفعالية. تريد نظرية الحجاج أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وُجد خطاب العقل واللغة؛ فإن ثمة استراتيجية معينة نعتمد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته (أعراب 2010، ص67).

نستنتج أن البلاغة تشترك مع التداولية في كثير من الاهتمامات، مثل الاهتمام بالعناصر التواصلية: المتكلم، والمتلقي والخطاب والمقام قصد التأثير والإقناع، كما تهتمان بالإنجاز الكلامي ومقصدية المتكلم من خلال خطابه ومراعاة ظروف المتخاطبين الثقافية والاجتماعية والنفسية...

4. خاتمة

انتقلت البلاغة الجديدة من القواعد المعيارية اليقينية القائمة على تصنيف صور البيان والبديع في النصوص الأدبية إلى الظاهرة الوصفية الاحتمالية في شتى أصناف الخطابات اليومية، واتجهت المجتمعات إلى ثقافة الحجاج في النشاط التواصل، هذا التواصل الذي يهدف أساسا إلى وصف الخصائص الإقناعية للخطابات، ودراسة كيفية حمل المتلقي على تأييد فكرة وتبني سلوك معين منسجم مع قصيدة المتكلم، كما لم تقتصر البلاغة الجديدة على البحث في البعد الجمالي؛ بل أصبحت علما كليا واسعا للمجتمع وصار لها حضور متميز يعود سببه إلى الاهتمام المتزايد باللسانيات التداولية والحجاج والشعرية ونظريات التواصل والسيمياء... فالبلاغة الجديدة إذن حصيلة تراكم عدد من التصورات.

5. المصادر والمراجع

- جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، إفريقيا الشرق، المغرب 2014، .
- حبيب أعراب : " الحجاج والاستدلال الحجاجي " . مجلة عالم الفكر. العدد 1. المجلد 30.
- الحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة إعداد حافظ إسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط 2010، ج 3.
- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة ترجمة عمر أوكان رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ط 1، 2011
- رومان جاكوبسون: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، المغرب 1988.
- صابر حباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر دمشق الإصدار الأول 2008.
- صلاح فضل :بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت صفر 1413هـ أغسطس/أب 1992م.
- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس، 1977،
- عبد السلام عشير : "عندما نتواصل نغير" مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، المغرب 2006.
- عبد العزيز الحويدق: الاستعارة عند رومان جاكوبسون ، مجلة علامات ج 54، مجلد 14 ديسمبر 2004.
- عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطقاته ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم تونس ، 1998.

- عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ميكسيلياني للنشر تونس ط 1 ، 2011.
- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا إفريقيا الشرق المغرب 2002
- محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1، 2013 .
- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق ، المغرب 2012 .
- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط 1 دار الكتاب الجديد المتحدة 2008
- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية واللسانية والمنطقية ، دار الثقافة، الدار البيضاء ط 1، 1426هـ 2005 م .
- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، ط 1، 1994.
- محمد مشبال: البلاغة والأصول، إفريقيا الشرق ، المغرب 2007.
- ميجان الرويلي: وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط 5، 2007.
- هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري إفريقيا الشرق المغرب 1999.
- J. c. Ancombre et Ducrot : L'argumentation — dans la langue, philosophie et langage troisième édition, MARDAGA